

معجزة الدقيق المنتصر!

محمد سليمان

أكرر هذه حرب طويلة الأمد، والحسم العسكري السريع فيها يبدو مستحيل المنال، هي في الاخير حرب ارادات لأطراف النزاع الدموي . وأنا ما زلت على قناعتى الراسخة؛ بأن ارادة الشعوب لاتقهر .. ! . والطرف الوحيد الذي تقف خلفه ارادة شعبية مساندة بالكامل هو الطرف التجراوى وحده .. وقد شهد بذلك ابى أحمد نفسه، حين هُزم جيشه فى الجولة السابقة من سلسلة المعارك الدموية للعدوان الثلاثى ..!

ألم يقل ابى أحمد : (نحن نحارب شعب تجراى الذي يحمي ويانى .. !!) وكانت الحماية ومازالت بإجماع كامل من شعب تجراى، وإلتحام شعبى فى القتال يقل نظيره فى التاريخ المعاصر لإثيوبيا ..! أنا أؤمن بقوة ان شعبى ارتريا والعفر وحتى القوميات الاخرى باستثناء غلاة الامهرة المتزمتين ليست لهم مصلحة حقيقية فى هذه الحرب الظالمة وإنما أقحموا فيها اقحاما؛ لتكريس نظام الاستبداد فى ارتريا وخلق ما يشبهه فى إثيوبيا الفيدرالية على أنقاض النظام الفيدرالى الذى ارتضته كل القوميات الإثيوبية.. ! ولذلك لا يقاتلون بحمية وحماس .

اعرف معرفة حقيقية ولمموسة بأن بلادنا قد حولها الدكتاتو وعصابته إلى زنزانة انفرادية مظلمة. والشعوب كل الشعوب؛ لا تحارب للدفاع عن جلاذيتها وعن زنازينهم الانفرادية. قد تُجبر الى حين للقتال كما هو حاصل الآن فى ارتريا، وربما فى عموم اثيوبيا؛ إما بالإكراه المادي بالوسائل الأمنية المعروفة او بتغبيش وعى البسطاء من الجنود؛ وهم وقود الحرب العبيثة المباشرين.. !

الان يشن افورقى غاراته الليلية؛ يقتحم منازل الأمنين فى حملة تجنيد الزامي شاملة؛ لم يستثنى فيها القصر من الأطفال، والعجزة من كبار السن؛ ويُزج بهم جميعا فى محرقة الخاسرة .

المعارك الآن تجري رهاها فى عشر جبهات؛ وهى فى أطراف حدود إقليم تجراى ما عدا غربه . وتجراى محاصرة بالكامل فى دائرة مغلقة؛ تكاد تكون أضيق من ثقب الإبرة ..! وقد مضى على بدء المعركة شهرا كاملا . والأطراف المتحالفة قد حشدت قوة هائلة لحسم المعركة فى وقت قياسي سريع، ولكنها لم تحرز أى تقدم يذكر حتى هذه اللحظة .. لماذا؟

لابد أن يستوقفنا سؤال: لماذا؟

شعب صغير ومحاصر بإغلاق محكم، ويواجه قوى هائلة تفوقه بالعدد والعتاد .. كيف صمد كل هذا الوقت الطويل؟

من أين يأتيه السلاح والإمداد الحربى وحتى الدواء والغذاء .. ليصمد كل هذا الوقت، فى مواجهة شديدة العنف، ويسجل بعض الانتصارات الجزئية هنا او هناك .. او قل انه يعيق بكفاءة مشهودة تقدم القوات المهاجمة من عشر جبهات ..؟

لابد أن يستوقفنا سؤال: كيف انتصرت تجراى فى الجولة السابقة من الحرب، بعد أن أعلن ابى أحمد انتصاره الساحق، وتباهى أنه جعل ويانى دقيقا فى مهب الريح ..!

Captive Ethiopian Soldiers in Tigray region - Photograph : Yasuyoshi Chiba, Monday 5/7/2021 .

بأية معجزة دبت الروح على دقيق منثور فى مهب ريح عاصف .. وكيف ان الدقيق تماسك فى وقت وجيز، وقام على قدميه بقوة مبهرة. وعلى وجه السرعة لملم أشلاءه المعثرة، وصنع منها قوة عسكرية شديدة البأس، وشن حربا لا هوادة فيها على خصمه، فأذاقهم هزيمة مريرة . وكاد يدخل أديس أبابا ويسقط نظام أبى أحمد ..!

بكل تأكيد؛ لم يكن انتصار ويانى على خصومه بضربة حظ؛ وإنما توافرت له شروط الانتصار الحقيقية؛ وأول تلك الشروط عدالة القضية التي يدافع عنها باستماتة؛ وقضيته تركز على مبدأ حق تقرير المصير القومي الذي تكفله كل الشرائع والقوانين الدولية، كحق أصيل للشعوب قاطبة . وتجراى قد قاتلت مع بقية القوميات المضطهدة فى سبيله وبعد نضال مرير أرست نظاما فيدراليا، يكفل للقوميات الإثيوبية كافة؛ إدارة شؤونها ضمن اتحاد فيدرالى دستوري . وثانيها، أنهم قاتلوا خصمهم على أرضهم التي يعرفون تفاصيلها الجغرافية وبالتالي يعرفون أين يكمنون ..

وأين يستدرجون قوات خصمهم الغريب على بيئتهم .. وثالثها، أنهم فى حزن شعبهم يرعاهم برعايته الكلية، ويقف بجانبهم بكل ما يملك من قوة مادية ومعنوية . وخامسها، ويانى قادت حرب عصابات طويلة، فاكنتسبت مهارة قيادية، وخبرة عملية فى فنون إدارة الصراع فى ميادينه العسكرية والسياسية وحل التناقضات وحشد قوى الجماهير الشعبية، فأقامت تحالفا واسعا مع بقية القوميات الإثيوبية ومع الثورة الإرتزية أيضا مما مكن الجميع من هزيمة نظام الدرق ومن ثم إقامة النظام الفدرالى بقيادة التحالف الرباعي فى اثيوبيا، و بهيمنة واضحة للويانى . وسادسها، تصدر ويانى إدارة الدولة الإثيوبية بكل تعقيداتها؛ لما يقارب من ثلاث عقود، أضاف لها خبرة جديدة فى إدارة شؤون الحياة العامة وتراكت لديها خبرة عملية فى الشؤون الدولية؛ فأقامت شبكة مصالح واسعة مع عدد من دول العالم نوي النفوذ والتأثير السياسي والاقتصادي ..!

لكل تلك العوامل وغيرها سجلت تجراى انتصارا سريعا على خصومها الأءاء بعد إعلان وفاتها بالتمنى! . والآن تجرى المعارك على أشدها وعلى نطاق واسع .. فهل سيناريو الجولة الأولى سيكرر نفسه؛ بسقوط مقلى أو انحنائها من العاصفة ثم نهوضها بعد الممات . ومن ثم استئناف القتال من جديد، وتحت شروط مختلفة ؟
دخان المعارك الكثيف يحجب الرؤيا والمعلومات شحيحة وميزان القوة يبدو متكافئ بين أطراف النزاع . ولا ندري بأية جهة ستشرق شمس ضحى الانتصار الباهت ..!